والقيم والمشاعر، وتتركز بصفة خاصة فى الأفكار والمعايير بما تنطوى عليه من طرق ووسائل شعبية وآداب جماعية وسنن وأعراف اجتماعية[١] .

٣ - الفرق بين الحضارة والثقافة :

تعود كلمة ثقافة Culture إلى اللاتينية ، وذلك أن كلمة Culture اللاتينية كانت تعنى : حرث الأرض وتنميتها ، ومن هنا قالوا Agriculture إصلاح الأرض وزراعتها[٢] .

ولعل شيشرون أول من استخدمها بمعناها المجازى الذى شاع فيما بعد حين أطلق على الفلسفة Mentiscultura أى زراعة العقل وتنميته ، وقد استعملت فى الأدب اللاتينى المسيحى فى معنى تهذيب الروح Cultura Animi[٣] .

وفى عصر النهضة الأوربية كانوا يستعملون اللفظ للفنون والأدب فيقولون Cultura Bonorum Artium أى ثقافة الفنون الجميلة ، وذلك بعدما استعار فولتير وأقرانه من المفكرين الفرنسيين استخدام شيشرون المجازى حتى باتت الكلمة تعنى تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة ، ومن الفرنسية انتقلت الكلمة بمعناها الجديد إلى الألمانية والإنجليزية وسائر اللغات الأوربية[٤] .

أما هذا اللفظ فيرتدُّ فى اللغة العربية إلى التثقيف وهو يحمل معنى التحويل والإصلاح والتهذيب، فيقول صاحب اللسان : ثَقَف الشيءَ ثَقْفاً وثقافاً وثَقُوفةً : حَذَقه ، ورجل ثَقْف وثَقَف وثَقُف: حاذق فاهم ، ويقول ابن السكِّيت : رجل ثَقْف لَقْف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به ، ويُقال: ثَقِف الشئ وهو سرعة التعلُّم ، وثَقُف الرجل ثَقافةً أى صار حاذقاً خفيفاً[٥] .

وهذا التعريف يجعله قريباً من المعنى الأصلى لكلمة Cultura اللاتينية ، وقد تطور المصطلحان العربيان - حضارة وثقافة - تطوراً مماثلاً لنظيريهما فى اللغات الأوربية .

ومنذ أيام الرومان ارتبط معنى الثقافة بمعنى الإنسانيات ، فالثقافة عندهم تطلق على الإنسانيات من أدب ولغة ونحو ومنطق وفلسفة دون العلوم .

وفى القرن التاسع عشر أعاد فلاسفة الألمان النظر فى معنى اللفظ واستعمالاته واعترضوا على الكثير من المعانى التى تُستعمل فيها مثل استعمال جون لوك لها فى معنى «تربية الصغار» ، ورجعوا

(١) دراسات أنثروبولوجية ، د. أحمد الخشاب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٦٨-٧٠ .
(٢) معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ .
(٣) الحضارة ، ص ٣٦٨ .
(٤) معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ .
(٥) اللسان ١/ ٤٩٢ .

إلى تاريخ اللفظ واستعماله عند الرومان فوجدوا أن هذا اللفظ Kultur - عند الألمان - يتعلق فى الغالب بالعلوم الإنسانية فى مقابل العلوم الطبيعية[١] .

أما معاصروهم من المفكرين الإنجليز فقد ذهبوا إلى القول بأن الثقافة هى محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما فى الفكر الإنسانى ، مما يؤدى إلى رقى البشرية ، وأن الدين من العناصر التى استعان بها الإنسان فى محاولته إلى الكمال[٢] .

ومن نصف قرن تقريباً استقر الناس فى الغرب على أن الثقافة هى التهذيب ومحاولة الوصول إلى الكمال وأنها جماع المعارف الإنسانية[٣] .

ومن هنا يمكن القول بأن الثقافة فى معناها العام هى مجموع المعلومات التى يقوم عليها نظام حياة أى شعب من الشعوب ، فهى أسلوب حياته ومحيطه الفكرى ونظرته إلى الحياة ولابد أن تكون خاصة به ، ونابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخى الحضارى[٤] .

أمَّا عن استخدام المصطلحين - حضارة وثقافة - فمن الناس من يستخدمها بمعان متداخلة ، والبعض يساوى بينهما ، فى حين يفرق بينهما البعض الآخر .

ففى الاستخدام الأنثروبولوجى : الثقافة أوسع من الحضارة إلا أنَّها متداخلة معها باعتبار أنَّ الثقافة هى نمط أو طريقة حياة مجتمع ما من المجتمعات الإنسانية ، إنها - بشكل عام - كل ما يختص به المجتمع مما يفرق الإنسان عن الحيوان من لغة ودلالات وأدب وفن وديانات وأخلاق وعادات ومظاهر الحياة الاجتماعية من لبس وزينة وكيفية طبخ وأكل وغناء . . . الخ[٥] .

أما الحضارة فى الاستخدام الأنثروبولوجى الأمريكى خاصة :

فهى إمَّا محصلة التاريخ الثقافى للإنسان ، وإما ثقافة مجتمع كبير نسبياً على الأقل بشرط أن تستمر هذه الثقافة فترة طويلة وأن تتضمن قيام المدن والتنظيمات السياسية والإدارية ، إذن فالحضارة هى حصيلة ثقافات الشعوب ، فليس كل الثقافات حضارات فى حين أن كل الحضارات ثقافات إذ أنَّ الحضارة الواحدة هى التركيب الأعلى لجميع الثقافات[٦] .

أما الذين يساوون بين المصطلحين فكان من أشهرهم تايلور فى القرن الماضى وقد حذا حذوه كثير

---

(١) الحضارة ، د. حسين مؤنس ، ص ٣٦٩ .
(٢) السابق . ص ٣٧٠
(٣) السابق ، ص ٣٧٠ .
(٤) الحضارة ، ص ٣٦٧ .
(٥) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٣ .
(٦) السابق ، ص ٤٤ .

من المفكرين ، فقد كانت الأكثرية تستخدمهما دون تحديد دقيق ودون أى حرج من تبديل أحدهما بالآخر[١] .

وهناك من يفرق بين المصطلحين وهم المفكرون الأوربيون ولاسيما الألمان منهم ، فقد جعل هؤلاء الحضارة تقتصر على الإنجازات التقنية والمعرفة العلمية الموضوعية التى يمكن أن تقاس قياساً كمياً فى حين جعلوا الثقافة تشير إلى المعرفة الذاتية غير الوصفية ، ذات الأحكام التقويمية مثل الديانات والاعتقادات والأخلاق والفلسفة والآداب والفنون .

ويمكننا القول بأن مصطلح الحضارة كان يستخدم فى بداية الأمر ليعنى ما تمتاز به الشعوب الأوربية من خصائص[٢] .

ثم اتجه تدريجياً ليعنى الشريحة الثقافية المتقدمة ، فالحضارة الراهنة هى الثقافة الأكثر تقدماً بين ثقافات المجتمعات المعاصرة ، وتاريخ الحضارة هو تاريخ الإنسان الثقافى منذ كان الإنسان ومنذ كانت الثقافة ، وكلمة الأكثر تقدماً لا تعنى الرقى فى الجانب المادى دون التقدم الفكرى[٣] .

وإذا كانت الحضارة هى الثقافة الأكثر تقدماً فإن هذا يجعلها أوسع من العمران Civility الذى هو جانب من الحضارة أو فرع من فروعها ، ومن هنا يمكن القول بأن ابن خلدون هو الذى أسس هذا الفرع وبنى صرحه عندما جعل العمران البشرى مرادفاً للحضارة .

والحضارة تختلف كذلك عن التمدن Urbanity وهى الكلمة التى اختارها جرجى زيدان عندما وضعها عنواناً لكتابه «تاريخ التمدن الإسلامى»[٤] .

والفرق بين هذه الاصطلاحات الثلاثة : العمران ، المدنية ، الحضارة هو أنَّ كلمة عمران ترتد سريعاً إلى التعمير والإصلاح ، وكلمة مدنية ترتد أيضاً إلى المدينة ، أمَّا الحضارة فهى أوسع من أن تُحصر فى العمران أو التمدن[٥] .

فالحضارة إذن هى حصيلة ثقافات العالم ، وتتصف بالكلية والوحدة أو الشمولية من جهة والخصوصية من جهة أخرى ، والحضارة أشبه ما تكون بعملية تثاقف متواصلة .

---

(١) السابق ، ص ٤٤ .

(٢) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٩ .

(٤) تاريخ التمدن الإسلامى ، جرجى زيدان ، مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس ، دار الهلال ، ١٩٥٨ م .

(٥) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٩ .

وخلاصة القول إنه لا يمكن الفصل بين الثقافة والحضارة أو إقامة أى تعارض بينهما فإنهما متداخلان دون أن يصلا إلى حد التساوى ، وهما متمايزان دون أن يصل بهما هذا التمايز إلى درجة التباعد»[1] .

فنحن من جهة لا يمكن أن نساوى بين الحضارة والثقافة ومن جهة أخرى لا نصل إلى الحد الذى يجعل من الثقافة شيئاً ومن الحضارة شيئاً آخر وبالتالى فإن «الحضارة يمكن أن تكون قومية لأن الثقافة تتجلَّى لنا مرتبطة بالنظام المجتمعى والسياسى»[2] .

ولذا كانت الثقافة وحدة صغيرة داخل بناء الحضارة ، فالحضارة تحوى فى داخلها الثقافة والمدنية والعمران، وعندما تصل جماعة ما إلى أقصى درجة من هذه الأمور الثلاثة فقد بلغت الحضارة بأكملها.

ثالثاً : العلاقة بين الحضارة واللغة

عرَّف ابن جنى اللغة بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[3] .

ويتضح لنا من هذا التعريف أن للغة وظيفة اجتماعية تتمثل فى التعبير عما يعتمل فى نفس الأفراد، وأن لها إطاراً اجتماعياً ، ومن ثَمَّ فهى تختلف باختلاف الجماعات الإنسانية ، «وعلى هذا فوجود اللغة يشترط وجود المجتمع ، ومن هنا يتضح لنا الطابع الاجتماعى للغة ، فليس هناك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلاً عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به ، فاللغة ليست هدفاً فى ذاتها وإنما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية»[4] .

واللغة نسق دقيق من العلاقات يعقده أفراد المجتمع بين بعضهم البعض ، وبينهم وبين البيئة التى تحيط بهم . وبحكم هذه العلاقة أصبح للغة تأثير بالغ فى مناحى الحياة .

وأمَّا عن العلاقة بين اللغة والحضارة فهى علاقة بناء وتحديد ، بمعنى أنَّ اللغة تحدد الحضارة كما أنها فى الوقت نفسه تتحدد بها ، فاللغة تحدد الحضارة باعتبار علاقتها بالحقائق الحضارية التى تكوِّن معها مجموع الحضارة ، وهى فى الوقت عينه قيد للحضارة ومفتاح لها وكانت لهذا السبب نموذجاً

(١) من المنغلق إلى المنفتح ، محمد عزيز الحبابى ، ترجمة محمد برادة ، ط الثانية ، الأنجلو المصرية ١٩٧٣ م ، ص ٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣١ .

(٣) الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة العامة للكتاب ، ط الثالثة ، ١٩٨٦ م ، جـ ١/ ٣٤ .

(٤) مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود حجازى ، دار الثقافة ، ط الثانية ، ١٩٧٨ ، ص ٩